الشفاء الغريب

ايضاح الغامض

اطّلعت في هذه الايام على خطاب لرجل فرنساوي اسمهُ المسيو ماغنين " استاذ في مدرسة المغنيزم " نقلهُ المقتطف عن " مجلة العلوم النفسية " (الشفاء الغريب ستمبر ١٩٠٧) . وخلاصتهُ انهُ شفى بالمغنطيسيةِ فتاة كان قد حكم بعض الاطباء بانها مصابة بعلل مختلفة منها السل الرئوي واعوجاج العمود الفقري وشلل الطرفين السفليين . ثم بعد الشفاء فحصها اثنان من الاطباء المذكورين آنفاً واثبتا انهُ لم يبقَ فيها شيءٌ من العلل التي سبق ذكرها . والظاهر ان هذا الاستاذ لم يقتصر في الشفاء على ما كان فيهِ من القوة بل استعان بما سمّاهُ " بالذات الثانية " وهي فتاة كان يحبها من قبل وقد استحضرها من عالم الغيب . وعند نظري الى هذه " الحادثة " لم ارَ غريبة واحدة فقط بل غرائب كثيرة لا يكن اثباتها والتصديق لها الاّ اذا كانت البينة عليها مما لا يشوبهُ ادنى ريب وهو غير ما رأيتهُ في ما قيل هنا

من المقرّر عند الاطباء ان من العلل التي تصيب الانسان علتين تتخذان صوراً كثيرة بحيث قد يخدع الطبيب ويخطئ في تشخيصهِ وعلاجهِ وهما الهستيريا اكثرها في النساء وسوء الهضم اكثرهُ في الرجال . وقد جرى لي في خبرتي الطويلة حوادث شتى من هذا القبيل اذكر منها اثنتين تشهدان لما سبق وكان الشفاء فيهما غريباً في الظاهر ولا غرابة فيهِ في الحقيقة وربما كان فيهِ التفسير الطبيعي للحادثة التي ذكرها " الاستاذ " وقال انهُ شفاها بقوة المغنطيس الحيواني

الحادثة الاولى . دُعيت مرةً الى مداواة فتاة لم اكن اعرفها من قبل فرأيتها نحيفة البنية طريحة الفراش منذ ستة اشهر مفلوجة الطرفين السفليين لا قوة فيها على الحركة البتة . فسألت هل سبق ذلك سبب كمرض او لطمة على اسفل الظهر فقيل لي لا . ثم فحصت العمود الفقري فلم اجد شيئاً يدل على مرض في الفقرات القطنية او في الحبل الشوكي . ومن النظر العام الى الفتاة وسنها ومزاجها وعدم وجود سبب آلي اصلي او منعكس للاعراض الواقعة قلت في نفسي ليس هذا فالجاً حقيقياً بل هو من انواع الهستيريا التي تزيّت بهذا الزي الغريب وعلى ذلك يجب ان يكون العلاج . ويكون بامرين احدهما بالدواء والثاني وهو

الافضل باتباع طريقة بحقيقة الحال والمرض فود لا ارادة فيها لتغلب على المرض . ولم يكن حينئذٍ في الدرقة الا والنفس مصابة مصاب شديد وتشوش وتحركت بوادر فصيرة . فلما خرجت قلت للابنة ليس مرضك الذي اراه بك ولكنا نطلبن بل هو شيء خصني سبب الزال واني اصف لك الدواء المفيد واضمن لك الشفاء التام بشرط ان تكوني واثقة بما قلتهُ لك وان تعيني الدواء بكل ما فيكِ من قوة الارادة لتحريك رجليك والنهوض من الفراش . قالت وكانت على جانب عظيم من الذكاء لقد وثقت بكلامك وسافعل كما امرتني . وبعد اسبوع عدتها فرأيتها تمشي في البيت ولم يبقَ اثر من ذلك الفالج الوهمي وقد مضى عشرون سنة منذ ذلك الزمان اشاهدها من حين الى آخر وهي لا تزال أيمًا وعرضةً لاعراض هستيرية خفيفة لا عبرة لها

الحادثة الثانية . طُلبت مرةً لمشورة طبيَّة ولما حضرت رأيت فتاة قويَّة البنية نائمة على فراشها لم تفتح عينيها ولم تتكلم ولم تأكل ولم تشرب ولم تنتبه الى شيء منذ ثلاثة عشر يومًا وفي كل تلك المدة كانت متيبسة (التشنج الدائم) كانها قطعة واحدة من الخشب الذي لا يلتوي ولم تحرك البتة . وبعد الفحص الطبيعي لم اجد علة في الدماغ او الحبل الشوكي فالتفت الى الطبيب وقلت هي علة هستيرية ولا ريب . قال نعم هكذا كان حكمي وهكذا كان علاجي الذي لم يأتمر بشيء من الفائدة . ثم سألتهُ هل جرَّب سكب الماء البارد على الرأس بغزارة قال نعم قلت لا بأس باعادة العمل لاني لم أرَ حادثة قط قويت على هذه الوسيلة مدة النوبة الحادَّة . ثم جذبنا جسم الفتاة بجملتهِ الى جانب الفراش لانهُ لم يمكن تحريك رأسها وحدهُ وسكبنا على رأسها ماء غزيرًا مدة طويلة . وما كنت أراهُ دائمًا من شهقة طويلة يعقبها التحو التام في مثل هذه الاحوال لم ارهُ هذه المرة مع اننا افرغنا على رأسها جرارًا كثيرة من الماء البارد . ولما اقتنعت ان لا فائدة من اطالة سكب الماء قلت في نفسي ان هذه الابنة صاحبة العقل شاعرة بكل ما حولها سامعة كل ما يقال لها ولو كانت لا تستطيع النطق وهو ما تمتاز بهِ الهستيريا عن الصرع وغيرهِ من العلل الدماغيَّة الشوكية فلم يبقَ لي حيلة الا ان آمرها فتطيعني . فوضعت يدي تحت رأسها وقلت لها بصوت الآمر الجلسي . واعدت الكلام اكثر من مرَّة ولكن الحال لم تتغير وبقي عنقها متيبسًا لا تثنيهِ عشرة رجال الَّا اذا خلعوا مفاصلهُ او كسروها . ثم قلت لها بصوت حادّ قاطع اجلسي حالاً وانا اساعدك وحاولت اجلاسها فطاوعتني هذه المرة وتليفت وجلست ولكن عينيها بقيتا مغمضتين فقلت لها افتحي الآن عينيكِ وانظري اليَّ ففعلت ونظرت الى وجهي وتبسمت وتكلمت وعادت اليها

الطبيعية الى جسدها وزالت الاعراض بالكلية . هذا وابوها وامها والطبيب ينظرون اليها حائرين كأنها ساحر او ساحرة . وقد خرجت من ذلك المكان مندهشاً مما لم ارَ له مثيلاً في شدته وخضوع ارادة المريضة لكلام العقل والامر لا لشيء فيه او فيها او فينا معاً من قوة خارقة العادة

ومثل ذلك يقال في شفاء كثير من الامراض بفعل الثقة بالطبيب والدواء . وهو كمذهب فريق آخر من المشعوذين الذين يزعمون ان لا حقيقة للمرض في الخارج بل هو مجرد وهم في الداخل فاذا اقنعوا المريض بان لا مرض فيه نال الشفاء ولذلك يسمون مذهبهم " الشفاء بالايمان " وليس في كل ذلك الا عمل العقل بالجسد وهو كالقول الجاري " آمن بالحجر تبرأ " او كالفعل المسمى بالاستهواء . وكثيراً ما يأتيني الناس يتوهمون ان بهم امراضاً مختلفة ولا ارى مرضاً فيهم فاقول لهم ليس بكم من علة اذهبوا وراعوا شروط الصحة في الطعام والشراب والنوم والرياضة ونقاوة الهواء وابعدوا عن كل سبب مضعف مضر وهذا كل ما تحتاجون اليه . ثم كثيراً ما يعود اليَّ بعضهم ويقولون هل تذكرنا اتيناك من بضع سنوات وصرفتنا بوصايا صحية فقط ووثقنا بما قلتهُ لنا فزال منا الوهم او الانحراف الذي كنا نشكوهُ . ومن هذا القبيل قول اطباء العرب ان الطبيعة والمرض خصمان اذا غلبت الطبيعة برأ المريض واذا غلب المرض هلك العليل . وقول اطباء الافرنج ان للامراض الحادة سيراً محدوداً وان في الطبيعة قوة لدفع المرض يسمونها " قوة الطبيعة المداوية " (Vis Mdicatrix Naturæ) وان اكثر ما يفعلهُ الطبيب انما هو مساعدة هذه القوة بقواعد الصحة والدواء وانهاض امل المريض خاصة . ثم اذا كان هناك من الظواهر المبهمة ما هو مجهول السبب وقع احياناً قول شكسبير الراوي الشهير " ان في السماء والارض اموراً اكثر مما تحلم به فلسفتنا " فالزمان يدركها ويعلنها ويفسرها بحسب السنن التي وضعها الله في الكون

يوحنا وريات